برنارد لويس عرّاب المحافظين الجدد

أ.م. فائز صالح محمود أللهيبي
كلية العلوم السياسية-جامعة الموصل

المؤتمر العلمي السنوي الأول لكلية التربية الأساسية (٢٣-٢٤/أيار/٢٠٠٧)

ملخص البحث :

ينتمي برنارد لويس إلى نخبة من المفكرين والباحثين التاريخيين ، وقادة الفكر الإستراتيجي في الولايات المتحدة الأمريكية .

وهو مؤرخ بريطاني المولد أمريكي الجنسية تناول في طروحاته الفكرية التي تدور حول الإسلام والمسلمين أفكاراً أثرت على النخب الاجتماعية عموماً والسياسية خصوصاً ، كما أنّ تأثيره الفكري واضحاً على صناع القرار الأمريكي وعلى مجموعة المحافظين الجدد الذي برز نجم نفوذهم السياسي مع أفول الألفية الثانية وبزوغ فجر الألفية الثالثة . وتناولت في هذه الدراسة سيرته الذاتية وشخصيته ثمّ أخذت نماذج مختارة من بعض أفكاره التي حاول أن يعممها في الواقع السياسي الغربي ومدى تأثيرها في ذلك الواقع .

Bernard Louis the Father of Conservations

Assist .Prof.
Faeiz Salih Mahmod
College of Political Sciences -University of Mosul

Abstract:

Bernard Louis is belong to a historical elite of thinkers, researchers and the leaders of the strategic thought of United states .

He is a British historian who has an American identity, in his intellectual theses he talked thoughts which are connect rated on the Islam and Islamic religion and generally effected on the social elites especially on political ones, his intellectual effect was also so clear on the American decision makers and on the new group of conservations who have

political influence with the last of second thousand and the beginning of the third one.

In this study Iٔve talked his curriculum vitae and his personality them I take some samples from his thoughts which he tried to generalized it in the western political reality and the effect of these thoughts on this reality.

المقدمة :

ينتمي برنارد لويس إلى نخبة من المفكرين والباحثين التاريخيين ، وقادة الفكر الإستراتيجي في الولايات المتحدة الأمريكية ، أمثال صموئيل هنتكتون صاحب نظرية (صدام الحضارات) التي استقاها من مقالة لويس (عودة الإسلام) ، وفرانسيس فوكوياما القائل بأطروحة (نهاية التاريخ وخاتم البشر) الذين تبنت أفكارهم ونظرياتهم مجموعة من صناع القرار في واشنطن ، خصوصا" من المحافظين الجدد ، من أمثال ديك تشيني (نائب الرئيس الأمريكي) وكارل روف (مستشار الرئيس بوش) وشارل بيرل (الرئيس السابق للجنة التخطيط الاستراتيجي في البنتاغون) وبول وولفوويتز (نائب وزير الدفاع الأمريكي السابق) وجيمس ووزلي (المدير السابق لوكالة الاستخبارات المركزية وعضو مؤسسة الدفاع عن الديمقراطيات) وغيرهم ، وروجت لها مؤسسات الأبحاث السياسية والإستراتيجية . ونجحت هذه المجموعة ودعاتها والمروجين لأفكارها ومناهجها الفكرية الاستعلائية في أدلجة التنميط لصورة العرب والمسلمين السلبية ، وفي إعطائه بعدا" فلسفيا" وفكريا" عميقا" ، خاصة" بعد أحداث الحادي عشر من أيلول / ٢٠٠١م .

وسوف أتناول في هذا البحث برنارد لويس المؤرخ البريطاني المولد والأمريكي الجنسية من خلال تناول طروحاته الفكرية التي تدور حول الإسلام والمسلمين ومدى تأثير تلك الطروحات على النخب الاجتماعية الغربية عموما" والسياسية خصوصا" ؟ ، وما هو مدى تأثيره على صناع القرار الأمريكي وعلى مجموعة المحافظين الجدد الذي برز نجم نفوذهم السياسي مع أفول الألفية الثانية وبزوغ فجر الألفية الثالثة ؟ وقد قسمت الدراسة المتواضعة هذه إلى : أولا": سيرته الذاتية ، وثانيا": شخصيته ، وثالثا": نماذج مختارة من بعض أفكاره التي حاول أن يعممها في الواقع الغربي عموما" والتي أثرت بشكل واضح في مجموعة المحافظين الجدد التي برزت مؤخرا" بشكل جلي في الإدارة الأمريكية ، ثمّ رابعا": أثر أفكار لويس في الواقع السياسي الغربي وأخيرا" : خاتمة البحث .

أولا: سيرته :

برنارد لويس مستشرق يهودي، يعد من أشهر مؤرخي الشرق الأوسط ، متخصص بالإسلام وقد كتب أيضا"في تاريخ الإمبراطورية العثمانية والشرق الأوسط .

ولد في لندن في مايو من عام ١٩١٦ م ، لأسرة يهودية أشكنازية ، لا تتوفر معلومات عن البلد الذي نزحت منه إلى بريطانيا ، وتاريخ ذلك النزوح ، فلم يذكر برنارد لويس في سيرته الذاتية المتاحة على موقع جامعة برستون بالشبكة الدولية للمعلومات (الانترنت) شيئا" عن أصول عائلته ، ولم يشر إلى طفولته وصباه وتعليمه العام ولكنه اكتفى بالإشارة إلى تعليمه العالي ، ولكن التحاقه بجامعة لندن في أوائل الثلاثينيات يوحي بانتمائه إلى أسرة ثرية ، وقد حصل على شهادة البكالوريوس بدرجة امتياز في التاريخ من مدرسة الدراسات الشرقية والأفريقية بجامعة لندن عام ١٩٣٦ م ، كما حصل على الدكتوراه في تاريخ الإسلام من نفس المدرسة عام ١٩٣٩م ، وكان موضوع رسالته عن الطائفة الإسماعيلية وجماعة الحشاشين ، وخلال إعداده لرسالته قضى فترة في جامعة باريس . وقبل حصوله على الدكتوراه بعام واحد ، عين مدرسا" مساعدا" في نفس المدرسة التي تخرج منها ، غير أنّه ترك العمل بالجامعة خلال سنوات الحرب العالمية الثانية (١٩٤٠ . ١٩٤٥) ليلتحق بخدمة المخابرات البريطانية وبعد الحرب عاد للعمل بالجامعة حيث عين أستاذا" لتاريخ الشرقين الأدنى والأوسط عام ١٩٤٩حتى عام ١٩٧٤ ، ولكن صلته بالمخابرات البريطانية لم تنقطع ، فقد ظلّ مرجعا" هاما" ، يستشار في كل ما أتصل بشئون الشرق الأوسط [١] .

وفي عام ١٩٧٤م سافر إلى الولايات المتحدة الأمريكية كغيره من الأكاديميين الإنكليز الكبار تحت إغراء الأكاديميات الأمريكية بإمكاناتها الضخمة . وكانت تلك الجامعات الكبرى قد جذبت مجموعة من المستعربين والمستشرقين الإنكليز في الستينيات من القرن العشرين ، كان من أهمهم هاملتون جب ونيكلسون وعشرات غيرهم من الأخصائيين في الإسلاميات واللغات الشرق أوسطية ، وكان لويس من ألمع المؤرخين الذين حطوّا الرّحال في جامعة برنستون . إحدى أهم الجامعات الأمريكية السبع . كأستاذ لدراسات تاريخ الشرق الأدنى ، حيث بقي فيها حتى عام ١٩٨٦م ، حينما تقاعد عن العمل الرسمي لبلوغه سن السبعين ولكنه ظلّ يمارس نشاطه بها أستاذا" فخريا" حتى يومنا الحاضر، وهو مركز لا يشغله إلاّ العلماء البارزون .

تتجاوز سيرة لويس العلمية ستين سنة ، وقد أصبح في وقتنا الراهن من أبرز مؤرخي الإسلام في الغرب الأمريكي حيث جعل التاريخ الإسلامي في متناول القاريء الأوربي والأمريكي بوساطة قدرته التركيبية الهائلة [٢] .وقد عزز لويس سمعته العلمية من خلال قيامه بتأليف مجموعة من الكتب هي اليوم من أهم ما أحتوته مكتبة الفكر الغربي بنظرته السلبية عن العرب

والمسلمين وشعوب الشرق الأوسط وبلدانها وهي تتفق في أفكارها مع رؤية المحافظين الجدد ، ومن مؤلفاته [٣] :

- أصول الإسماعيليين والإسماعيلية ، ١٩٤٠ م .
- تاريخ اهتمام الإنكليز بالعلوم العربية ، ١٩٤١ م .
- العرب في التاريخ ، لندن ،١٩٥٠ م .
- وثائق في المحفوظات التركية ، ١٩٥٢ م .
- ظهور تركيا الحديثة ، نيويورك ، ١٩٦١ .
- المسلمون يكتشفون أوربا ، نيويورك ، ١٩٨٢ م .
- يهود الإسلام ، نيويورك ، ١٩٨٧ م .
- ثقافات متناحرة: مسيحيون ومسلمون ويهود في عصر الاكتشاف، نيويورك، ١٩٩٤م.
- مستقبل الشرق الأوسط ، لندن ، ١٩٩٥م .
- الهويات المتعددة للشرق الأوسط ، لندن ، ١٩٩٨م .
- ما الخطأ ؟ ، لندن ، نيويورك ، ٢٠٠٢م .
- أزمة الإسلام : الحرب المقدسة والإرهاب المدنس ، نيويورك ، ٢٠٠٣م .

ثانيا: شخصيته :

منذ فجر شبابه كان لويس يجيد عددا" من اللغات ، من بينها العبرية والعربية والتركية والفارسية ، إلى جانب اللغتين الإنكليزية والفرنسية ، كما أفاده عمله في دائرة المخابرات البريطانية في أن يتنقل بين بلدان الشرق الأوسط لسنوات الحرب العالمية الثانية كلها ، ويطلّع بالطبع على المعلومات والوثائق السرية ، ويتصل اتصالا" مباشرا" بشعوب المنطقة أفرادا" وحكاما" ، وبعد تعيينه رئيسا" لقسم تاريخ الشرقين الأدنى والأوسط في جامعة لندن ، والذي أنشيء وقتها بسبب ظروف الحرب ، أوفد في مهمة علمية لمنطقة الشرق الأوسط لمدة عام ، لكن المكتبات العربية كلها أوصدت أبوابها أمامه ، بسبب قيام دولة إسرائيل في العام السابق لمجيئه ، وأدى ذلك إلى تحقق بعد جديد في تكوينه الأكاديمي .

فقد كان البلدان اللذان استقبلاه في المنطقة . بجانب إسرائيل . هما تركيا ، التي قضى بها معظم الوقت ، وإيران التي كانت زيارته لها فاتحة لزيارات كثيرة لاحقة ، وفي تركيا اطلع على كنوز المخطوطات العربية وعلى (وثائق الإمبراطورية العثمانية) التي اتيحت لأول مرة لغير الأتراك في ذلك الوقت ، وهي وثائق بالغة الأهمية لدراسة تاريخ البلاد التي خضعت للحكم العثماني كالدول العربية أو الدول التي ارتبطت بتركيا بعلاقات من نوع ما كإيران [٤] .

يمثل برنارد لويس شخصية دمثة ، فهو سهل الأخلاق ، لين العريكة ، تخرج على يديه الكثير من طلاب الشهادات العالية العرب والمسلمين ، الذين يحتفظون عنه بذكريات طيبة ، وهو عذب الأسلوب ، سلس العبارة ، مقنع في إيراد الحجج وتوظيفها ، ولا سيما لغير المختصين . وبعد أفول نجم الهيمنة البريطانية في الشرق الأوسط وإسدال الستار على نفوذها في المنطقة ، وبروز الولايات المتحدة الأمريكية لتصبح هي الوريث الطبيعي لحماية المصالح الغربية في الشرق الأوسط ، وجد برنارد لويس أنّ مكانه الطبيعي هناك ، في الولايات المتحدة ، حيث مركز صنع القرار الغربي ، خاصة" أنّ صهيونية لويس كانت حقيقة راسخة أكدها في كتاباته ومقالاته ، وضمن له عداؤه الشديد للشيوعية وسخريته الجارحة بالعرب والإسلام (عدا تركيا) موقعا" في طليعة الحملات المؤيدة لإسرائيل في العقد الأخير من القرن الماضي [٥] .

إنّه مستشرق من الطراز القديم ، وكتاباته ممتعة ، ولغته بسيطة وتحليله مقنع وخلال حياته الأكاديمية الممتدة لفترة تزيد على الستين عاما" في جامعتي لندن وبرنستون في دراساته التخصصية ، قدم نظرات (رائدة) في التاريخ الاجتماعي والاقتصادي للإسلام ، فضلا" عن سعة إطلاعه على الأرشيف العثماني ، ولم يتردد برنارد لويس في توريط نفسه وسيرته في مجريات الأحداث بشكل انحيازي صارخ .

لويس باختصار يعد أحد رموز السياسة الأمريكية الراهنة ، وإنّ هناك من يصفه بمانح الشحنات الفكرية للسياسة الأمريكية الحالية تجاه منطقة الشرق الأوسط [٦] .

ثالثا. تجربته الفكرية مع الحضارة الإسلامية :

كتب برنارد لويس كثيرا" . وتداخل في تاريخ الإسلام والمسلمين ، حتى اعتبر في الغرب مرجعا" فيه ، فكتب عن الإسماعيليين وأصولهم ، وعن الفاطميين ، والقرامطة ، وكتب في التاريخ الحديث كتابات ليست في مستوى البحوث التي قدمها في الكتابات التاريخية ، ذلك أن النزعة الصهيونية التي صرح بها هو ويؤكدها بنفسه سيطرت على كتاباته في التاريخ الحديث ، فظهرت أقرب إلى الكتابات الإعلامية منها إلى الكتابات المنهجية . وكتب عن الإسلام والغرب ، وعن صدام الحضارات تأسيسا" لما كتبه زميله صموئيل هنتكتون ، وكان العنوان الفرعي لهذا الكتاب (المسيحيون والمسلمون واليهود في عصر الاكتشافات) ، وكتب عن الشرق الأوسط : ألفا سنة من التاريخ من فجر المسيحية حتى يومنا هذا ، وكتب عن الساميين . ونقل لويس إلى القارىء الثراء المميز للحضارة الإسلامية في عصورها السابقة وصور ترفعها واعتزاز المسلمين بأنفسهم ، أمّا دراساته في التاريخ الحديث فقد وضّح الحوار الداخلي للمسلمين وهم يواجهون قيم الغرب وقوته [٧] .

وهو يعلن إعجابه بتركيا وسماها في أحد كتبه (تركيا الحديثة) وجعلها في كتابه الأخير (مستقبل الشرق الأوسط) هي القوة القادمة في هذه المنطقة في العقود الخمسة القادمة ، وهي المرشحة للعب الدور الأول مع إسرائيل في الشرق الأوسط ، ولويس متأثر بحركة مصطفى كمال أتاتورك التي يعدها انطلاقة تركيا الحديثة ، ويعول عليها في أن تكون البديل الذي يريده هو من خلال منطلقه الفكري والعقيدي ، ذلك أنه يرى أنّ البلدان الأخرى المشمولة في مصطلح الشرق الأوسط جغرافيا" كلّها تميل إلى تطبيق الدين في قضيتها مع اليهود في فلسطين وهو لا يريد هذا البعد أن يكون هو الدافع للتعامل مع اليهود ، ولذا وجد في غير البلاد المجاورة لفلسطين بديلا" مناسبا" ، فهم سيقبلون بالأمر الواقع ويتعاملون مع اليهود من هذا الواقع وهذه هي النظرة الإعلامية التي وقع فيها لويس في إيجاد البديل ، لأنّ من رشحه بديلا" ليس بالضرورة قانعا" في هذا الواقع ، إذ تظل تركيا بلدا" مسلما" قادت العالم الإسلامي قرونا" طويلة وحققت امتدادا" لرقعة المسلمين في شرق آسيا وأوربا وهذه أماني وتوقعات غير دقيقة [٨] .

إنّ كتاباته تفصح عن علم واسع وانكباب طويل على المصادر التاريخية الأصيلة ممّا أكسبه شهرة كمؤرخ خبير في أي شيء يتعلق بالإسلام ، ولكن لا رغبة عنده في ذكر الحقيقة الكاملة عن الإسلام ، بل لديه دافع قوي للغاية لإبراز الشوائب والأعشاب الضارة التي ظهرت طوال التاريخ الإسلامي بسبب ولائه للصهيونية لذكر ما يسيء إلى الإسلام والمسلمين[٩] .

أفكاره التي حاول أن يعممّها :

١. تهديد الإسلام للغرب :

ساهم لويس من خلال تأثيره في النخب الثقافية الغربية وفي مراكز صنع القرار في الولايات المتحدة الأمريكية ، في تعزيز وتكثيف الصورة النمطية للإسلام كتهديد للغرب ، فالإسلام يعتبره نهاية الحضارة كما يعرفها الغرب ، الإسلام ضد الإنسانية ، ومعاد للساميّة ولاعقلاني . ففي محاضرة . نشرت منقحة في مجلة أتلانتك موثلي سنة١٩٩٠م . بعنوان (الأصولية الإسلامية) ثمّ عدل العنوان وجعله (جذور الهياج الإسلامي) ، يقول في معرض إجابته عن التساؤل : لماذا يمقت غالبية المسلمين الغرب ؟ ولماذا لن يكون من السهل التخفيف من مرارتهم تجاهنا ؟

(في نظر غالبية الشعوب (العربية والإسلامية) في الشرق الأوسط ، لم تجلب الأنماط الاقتصادية الغربية لهم سوى الفقر ، والنظم السياسية الغربية لم تنتج لهم سوى الدكتاتورية ، وأمّا أسلحة الغرب فلم تأت بغير الهزائم .. لقد عانى المسلم من مراحل متتالية من الهزائم . الهزيمة الأولى خسارته لموقع السيادة التاريخية في العالم ، في مواجهة روسيا والغرب . والهزيمة الثانية كانت تحجيم سيادته الوطنية عبر اجتياح الأفكار والقوانين وسبل العيش الغربية ، وأحيانا" إلى

درجة تنصيب الحكام الغرباء وتوطين المستعمرين من غير المسلمين على أرضه . أمّا الهزيمة الثالثة ، وهي القشة التي قصمت ظهر البعير ، فكانت تحدي سيادته على أسرته من خلال تعميم شعارات تحرر إمرأته أو تثوير أبنائه على أنماط وأساليب حياته التقليدية) [١٠] .

وقد أدت انشغالاته بهذه المحاولات إلى تهيئة المشهد للمواجهة بينه وبين الناقد الأدبي الفلسطيني ادورد سعيد ، فقد نشر سعيد كتابه المشهور (الإستشراق)في عام ١٩٧٨م ، الذي طرح المسألة القائلة بأنّ الدراسة الحديثة للإسلام في الغرب قد أصبحت أداة للهيمنة الإمبريالية ، وأن سعي الغرب لنيل المعرفة ارتبط مع سعيه إلى القوة ، وأنّ الاستشراق شكل من أشكال العنصرية ، وينتهي سعيد بأنّ لويس وبقية مجموعة الإستشراق قد أساءوا تصوير الإسلام واعتبره دينا" جامدا" منافيا" للعقلانية وفي خلاف مستمر مع الغرب .

أمّا لويس فيرى أن تطور الاستشراق يمثل إحدى واجهات أوربا الإنسانية ، وأنّه نشأ على نحو مستقل عن المصالح الإمبريالية ، بل وأحيانا" معارض له ، وقد حفزت المجادلة بين ادورد سعيد وبرنارد لويس إهتماما" بصورة الإسلام والعرب في الأكاديميات الغربية وخلقت وعيا" جديدا" لدى المؤرخين الغربيين بأنّ قراءهم يتضمنون عربا" ومسلمين أيضا" . وإنّ الصورة النمطية التي حاول أن يرسخها لويس بأنّ الإسلام يهدد الغرب ، صورة تحتاج إلى إعادة نظر [١١] .

٢. مجابهة الإسلام للاستعمار :

يقول برنارد لويس : (حين نتطرق نحن أبناء العالم الغربي ممن ترعرعوا في الموروث الغربي إلى كلمتي إسلام وإسلامي فإننّا نميل إلى ارتكاب خطأ بديهي يكمن في افتراضنا أنّ الدين يعني للمسلمين ما يعنيه للناس في العالم الغربي ، أي أنّه جانب أو شطر من الحياة موقوف على بعض الشؤون المعينة ، وأنه معزول ، أو يمكن عزله على الأقل عن جوانب أخرى من الحياة كتلك التي تعني بالشؤون الأخرى ، ولكن الواقع ليس على هذا النحو في العالم الإسلامي) [١٢] .

العالم الإسلامي تضرر على أعمق ما يكون من جراء التأثيرات الخارجية ، ومنها حركة الاستعمار ، ولفهم التبدلات التي أدت إليها التأثيرات الخارجية ، وردود أفعال الناس الذين تضرروا بها ، علينا أن نعود إلى ذلك الزمان الذي سبق ورود الوطأة الهائلة للنفوذ والفكر الغربيين ، أي إلى ذلك الزمان الذي كان فيه العالم الإسلامي يتطور وفق موروثات حضارية كان بعضها والحق يقال سبّاقا" على الموروثات الإسلامية ، والتي كانت مختلفة تماما" عن موروثات العالم الغربي الحديث [١٣] .

إنّ الغرب اليوم والأمريكان ليس لهم من هدف في تصرفاتهم تجاه المسلمين إلاّ الإذلال والعقاب الجماعي باسم الإجراءات الأمنية وشواهدنا لا تعد ولا تحصى من إجراءات التعذيب ألللاّ

إنسانية في سجن أبو غريب أو معتقل غوانتانامو أو السجون الأمريكية السرية في أوربا الغربية أو القصف العشوائي على الأحياء السكنية في الفلوجة والنجف وسامراء أو الحصار الاقتصادي على الأرض المحتلة في فلسطين ووضع المعابر والحواجز من قبل ربيبة الغرب الصهيونية بين المدن الفلسطينية بل بين أحياء المدينة الواحدة ، كما هو حاصل في مدينة غزة التي قسمت إلى ثلاثة أجزاء يمنع التحرك بينها . لقد أصبح العرب والمسلمين على درجة من الحرمان من الحرية والأمل بحيث أصبح الانتحار سلاحا" معقولا" والرفض للغرب واقعا" معاشا"

أمّا اليوم فإنّ المسلمين يحاولون مجابهة الشعور بالإذلال نتيجة حركة الاستعمار التي طالت بلادهم لفترة زمنية طويلة والتي لا تزال تعاني من آثارها لحد الآن بل إنّ البعض من بلدان المسلمين رازخة تحت الاحتلال الغربي مثل العراق وأفغانستان وغيرها ، لذا يقف الإسلام في مجابهة أنماط الاستلاب أللاّ إنساني ومنها الاستعمار في مصر في منتصف القرن الماضي ، فيلحظ لويس كيف أنّه (حين تتجه العواطف الشعبية لمكافحة الكفار، كما وقع في منطقة القنال ١٩٥١-١٩٥٢ م ، تلاقي استجابة قويّة) [١٤] ، أو كما يحصل في الوقت الحاضر من مقاومة إسلامية للتواجد العسكري الأمريكي والغربي في كل من العراق وأفغانستان،ممّا دفع صنّاع القرار السياسي الغربي،ومنهم المحافظون الجدد، إلى إشغال فكرهم في البحث عمّا إذا كان الإسلام،أصوليا"كان أم تقليديا"،يشكل تهديدا" للغرب ؟!

٣. مستقبل الشرق الأوسط :

يعتبر لويس تحدي الغرب أو تأثيره نقطة فصل بين الشرق الأوسط الحديث والشرق الأوسط لفترة ما قبل الحداثة . فعبر العقدين السابقين سعى بعض المؤرخين إلى تأكيد أنّ الإمبراطورية العثمانية حافظت على حيويتها خلال القرن الثامن عشر بل إنّها بدأت عملية انبعاث في ذلك العهد ، وأنّ هذه المحاولة قد أحبطت في المهد بسبب التوسع الاقتصادي والعسكري لأوربا . إلاّ أن لويس تمسك بالرأي القائل أنّ الانحطاط العثماني كان حقيقيا" وذاتي المنشأ ، ولم ينشأ بسبب التفوق المادي للغرب فقط ، بل بسبب الموقف الإسلامي من التفوق الحضاري الغربي وهو موقف عوّق أية استعارة (من الغرب) . وهذه الأفكار تناولها في كتابه (المسلمون يكتشفون أوربا) الصادر في عام ١٩٨٢م . وفي كتابه (مستقبل الشرق الأوسط) الصادر في عام ١٩٩٥م ، كتب برنارد لويس نبوءاته عن مستقبل المنطقة ودولها وشعوبها في أعتاب القرن الواحد والعشرين . وقد عرض الكتاب لمجمل الطروحات الفكرية والسياسية والاستراتيجية التي كانت حينها على قيد أولويات البحث لدى المحافظون الجدد . وازداد الاهتمام بها بعد أحداث يوم الثلاثاء الحزين –نقصد بها أحداث ١١ أيلول–وانطلاق الحملة الأمريكية في سياق الحرب الشاملة على الإرهاب .

لعلّ أبرز هذه الطروحات : مقاربته لفكرة دمج الحرية والإيمان بشكل لا يستثني أحدهما الآخر كحل لمشاكل الإسلام السياسي ، وتكلم في تحليل مفهوم الجهاد لدى الحركات الأصولية الإسلامية ، ومقارنته بجهاد الصليبيين المسيحيين في القرون الوسطى ، إلى مقارنة مستقبل الصراع بين تلك الأصولية الإسلامية والديمقراطية والليبرالية ، رغم ميل البعض من تلك الحركات ، كما في تركيا وإيران والجزائر للقبول بالديمقراطية كوسيلة للوصول إلى السلطة ومن ثمّ العمل للقضاء على العناصر والأفكار المعادية لديمقراطية الغرب، ويصل لويس أخيرا" إلى القضية المركزية المتمحورة حول الصراع العربي الصهيوني، في هذا المجال يبين أن الحل لن يتأتى إلاّ عن طريق التغيير الجذري لأنماط التفكير في العالم العربي والإسلامي . ويرى أن التغيير يكون ابتداء" من قبول واعتناق مبدأ التعاون في حل النزاعات ، ونمو الحد الأدنى من بنية الاحتكاك والتواصل بين إسرائيل وجيرانها وصولا" إلى التأقلم ، بل أبعد من هذا ، فقد يتطور التأقلم مع الوقت ليغدو تسامحا" ، والتسامح قبولا" ، والقبول ثقة" ، وقد تتطور الثقة لتصبح صداقة [١٥] . هذه الأفكار تبناها المحافظون الجدد في كل تحركاتهم السياسية داخل مراكز اتخاذ القرار في الولايات المتحدة .

٤. فشل المسلمين في مواجهة الحداثة :

يؤكد لويس بأنّ سبب فشل المسلمين في مواجهة تحديات الحداثة يعود إلى تمسكهم بأمجاد تاريخهم وموروثهم ممّا يؤدي إلى انسداد الأفق أمام المحدثين في نظرتهم الموضوعية إلى ما تعاني مجتمعاتهم من تخلف ، وتمسك الأصوليين بالماضي وأحداثه .

وفي سياق اشتغاله على مقولة تخلف المجتمعات العربية عن اللحاق بركب الحداثة ، يعود لويس ليستشهد بسيل من إحد التقارير الصادرة عن المؤسسات الدولية التي تبرز وضاعة مركز الدول العربية والإسلامية مقارنة" مع دول العالم على كافة الصعد التنموية والبشرية والاقتصادية والصحية والتربوية والثقافية والتكنولوجية .

ويقول لويس أنّ شعوب الشرق الأوسط على يقين متزايد من حجم الهوة التي تزداد اتساعا" بين الفرص التي يوفرها العالم الحر الغربي والواقع المزري من الفقر والاضطهاد الذي يعانون منه. ردة الفعل الطبيعية هي أولا" ضد الحكام وثانيا" ضد القوى العظمى[١٦]، لهذا لا يبدو مستغربا" أن يكون أغلب المشاركين في هجمات الحادي عشر من أيلول في نيويورك وواشنطن هم من المملكة العربية السعودية ومصر ، أي من الدول التي يعتبر حكامها من أصدقاء الولايات المتحدة الأمريكية في المنطقة (وشكواهم الرئيسية ضدنا هي، في نظرهم، أننا مسئولون عن الإبقاء على النظم الاستبدادية التي تحكمهم ومسئولين عن اضطهاد وظلم

حكوماتهم لهم)[١٧] . وهذا دليل ساطع –على حد زعم لويس– على عمق المأزق الذي تعاني منه الشعوب العربية والإسلامية .

٥. الخلفيات الاجتماعية للأصوليين :

دراسات المستشرقين والسياسيين الأمريكان . ومنهم المحافظون الجدد . والأوربيين تشير إلى أنّ الحركة الإسلامية انطلقت من الطبقات الوسطى والدنيا ، وهذه الفكرة في ربط الإسلام بالمستوى المعيشي الاقتصادي ليست حديثة بل إنّ المستشرقين حينما درسوا الدعوة الإسلامية من بعثة الرسول محمد (صلى الله عليه وسلم) اهتمّوا بهذه المسألة ليقولوا أو ليفهم عنهم بأنّ الإسلام جاء لإصلاح الأوضاع الاقتصادية لفقراء مكة أو فقراء الجزيرة العربية [١٨].

فالبيئة الاجتماعية التي ينشأ فيها الإنسان كالأسرة والمدرسة وحقول العمل كلّها تؤثر في تكوين شخصية الفرد وصقله إنسانا" يحترم قواعد السلوك الاجتماعي ، أو إنسانا" متمردا" على هذه القواعد كافرا" بها ورافضا" لها [١٩] .

وفي سياق اشتغاله على مقولة تخلف المجتمعات العربية وقصورها عن اللحاق بركب الحداثة ، يعود لويس ليستشهد بسيل من أحدث التقارير الصادرة عن المؤسسات الدولية ، كالأمم المتحدة والبنك الدولي والتقارير شبه المستقلة الصادرة عن المؤسسات العربية والغربية غير الحكومية ، التي تبرز وضاعة مركز الدول العربية الإسلامية مقارنة" مع بقية دول العالم على كافة الأصعدة التنمويّة البشرية (اقتصادية وصحية وتربوية وثقافية وتكنولوجية).مثال ذلك أنّ لائحة تضم (٢٧) دولة هي الأكثر مبيعا" للكتب في العالم، تبدأ بالولايات المتحدة الأمريكية وتنتهي بفيتنام ، ولا تتضمن بلدا" إسلاميا" واحدا" ، فيما الأمثلة على صعيد التخلف الاقتصادي لا تعد ولا تحصى . يقول لويس إنّ شعوب الشرق الأوسط على يقين متزايد من حجم الهوة التي تزداد إتساعا" بين الفرص التي يوفرها العالم الحر والوضع المزري من الفقر والاضطهاد الذي يعانون منه.

ففي كثير من المدن الإسلامية نجد أنّ نقطة انطلاق الأصولية الإسلامية المتطرفة تكون من المناطق الفقيرة التي تنعدم فيها الحدود الدنيا للمعيشة ، والتي تغيب فيها الخدمات وتعتبر قنابل موقوتة تهدد بالانفجار ، مثل ما حدث في الدار البيضاء في المغرب، وفي صعيد مصر ، بالإضافة إلى أنّ هذه المناطق والأحياء معظم ساكنيها من الشباب الذي يشاهد مظاهر الإسراف والبذخ لدى بعض الفئات الغنية في المجتمع فيشعر بالاغتراب والعزلة والامتعاض ويصبح أكثر استعدادا" لتبني المواقف الرافضة والدخول في الأصولية الإسلامية باعتباره أرضا" خصبة لنمو وازدهار التطرف [٢٠] . ويرد على هذه الفكرة الغربية (ربط الأصولية أو التشدد الإسلامي بالمستوى المعاشي) بأنّ نموذج أسامة بن لادن يفند ذلك فهو زعيم لأكبر تنظيم

إسلامي يوصف بالتشدد ويكاد يكون هذا التنظيم عالميا" لكنه لا ينتمي إلى أسرة فقيرة بل إنّ إنتماءه إلى أسرة باذخة في الترف ومعروفة بالثراء المادي ، إذن هذه القاعدة (ربط التشدد برداءة المستوى المعاشي) غير صحيحة.

٦. الإسلام هوية وانتماء :

لكن هذه الأفكار التي عرضناها لا تمنع لويس أن يذكر في بعض من كتبه التي كتبها تجاه الإسلام والمسلمين أفكار يوحي من خلالها بأنّ موقفه ليس سلبيا" بشكل دائم تجاه الإسلام أو عدائيا" بل لديه أفكار يريد أن يسوقها لأغراضه الفكرية الخاصة ، فممّا كتب بأنّ المسلمين مهما اختلفت قومياتهم وأوطانهم ولغاتهم فإنّهم يشتركون في تاريخ واحد وذكريات وماض مشترك وفي الوعي بهوية واحدة تجعلهم يختلفون عن الغرب الذي يؤلف الوطن والقومية الأساس التاريخي لشخصيته . ففكرة المواطنة ذات الصبغة العرقية أو الإقليمية مستوردة من الغرب [٢١] .

إنّ الدين الإسلامي وخلال المائة سنة الأولى منه قد اكتمل ، وجمعت آثاره الخالدة من القرآن الكريم والسنة النبوية ، بحيث كان هذا الوعاء الزمني يتقابل ووعاءه المكاني للعقيدة من خلال انتشار هذا الدين الواسع بحيث أصبح المرجعية الأولى في العالم آنذاك ومصدر التشريع في المعاملات والنظم في بلاد واسعة من حدود الصين شرقا" حتى أعالي جبال الأندلس غربا" . وكان بين هذا الامتداد الجغرافي أناس من أصحاب الديانات السماوية القديمة ومن المجوس وأهل الوثنيات العديدة أناس من مختلف الأجناس والأشكال صار لهم الإسلام مرجعا" أساسيا" في كل نظم حياتهم وبشكل عصري ومتطور وليس بشكل تعسفي [٢٢] .

فالإسلام كان ولا يزال يمثل المصدر المقبول الوحيد للقوانين الخاصة والعامة في حياة المسلمين . ولم يتغير هذا الواقع حتى في ظل وقوع معظم البلاد والشعوب الإسلامية تحت احتلال الدول الأوربية لها .

لهذا يبدو الفارق شاسعا" بين عالم الإسلام وبقية دول العالم ، حين يتعلق الأمر بالشؤون السياسية ، محلية كانت أم دولية . إذ لا يجد رؤساء الدول الإسكندنافية من وقت لآخر فرصة لمناقشة قضايا البلاد البروتستانتية ، ولا هي من عادة زعماء اليونان ودول البلقان أو قادة الاتحاد السوفيتي (سابقا") لم يكن لديهم الوقت لكي يتناسوا خلافاتهم الأيديولوجية لعقد اجتماع على خلفية العقيدة الأرثوذوكسية ، وكذلك لم تحاول الدول الآسيوية التي يعتنق غالبية سكانها البوذية تشكيل تجمع بوذي في الأمم المتحدة ، إنّ مجرد التفكير في تشكيل تجمعات ضمن هذا الإطار في حديث قد تبدو غريبة وبلا معنى . ولكنها ليست كذلك في العالم الإسلامي . ففي خلال مراحل الحرب الباردة جميعها ، كان ممثلو أكثر من خمسين دولة إسلامية ، من

جمهوريات وممالك وإمارات ، ومن دول محافظة وثورية ، رأسمالية واشتراكية ، مدعومة من الشرق والغرب يشكلون تجمعا" دوليا" يلتقي بشكل دوري ليتعاونوا بشأن قضايا تهم بلادهم وشعوبهم .

أحد أسباب هذا التميز في الموقف السياسي الإسلامي يعود إلى المستوى العالي من الإيمان والممارسة الدينية لدى المسلمين مقارنة" بأتباع الديانات الأخرى . السبب الآخر والأهم هو أنّ الإسلام ليس طريقة عبادية وحسب ، وإنمّا هو أيضا" هوية وانتماء ، فبالنسبة إلى الكثير من المسلمين ، يمثل الإسلام الهوية والانتماء بحيث يتفوقان على أية هوية أو انتماء آخر ، بعبارة أخرى ، (الإسلام لا يزال يعد المعيار الأسمى للهوية في معظم البلدان الإسلامية ، فالإسلام هو ما يفصل بين الأنا والآخر ، بين الإنسان الداخلي والإنسان الدخيل ، بين من هو أخ ومن هو غريب ، ومن الجدير بالذكر أنّ الأمة والوطن كانا بالطبع من الحقائق القديمة في العالم الإسلامي ، بيد أنهمّا كتعريفين للهوية والمشايعة السياسية ليسا إلاّ تصورين حديثين) [٢٣] .

٧. عودة الإسلام :

(حين نتطرق نحن أبناء العالم الغربي ممّن ترعرعوا في الموروث الغربي إلى كلمتي إسلام وإسلامي فإننّا نميل إلى ارتكاب خطأ بديهي يكمن في افتراضنا أنّ الدين يعني للمسلمين ما يعنيه للناس في العالم الغربي ، أي أنه جانب أو شطر من الحياة) [٢٤] . هذه نظرة غير صائبة وضعت إيران له حدا" وقد تضع له حدا" ثمّة بلدان إسلامية أخرى عمّا قريب[٢٥] .

وإنّ الإسلام على علاقة سياسية وثيقة بالدولة باطنيا" وظاهريا" في آن واحد ، والإسلام في كل الدول ذات السيادة تقريبا" وذوات الأغلبية الإسلامية الواضحة ، دين الدولة ، وأنّ الشريعة هي أساس القانون أو أنّها مصدر رئيسي من مصادر التشريع . والاستثناء الهام يتجسد في الجمهورية التركية التي اعتمدت سلسلة من القوانين ، استجابة" لتوجيهات أول رئيس جمهورية فيها ، وهو كمال أتاتورك ، في عام ١٩٢٠م ، ممّا أدّى إلى زعزعة أركان الإسلام كمؤسسة ، وإلغاء الشريعة الإسلامية وإرساء أسس الفصل القانوني بين الدين والدولة . ولقد بقيت تلك القوانين سارية المفعول إلى زمن طويل ، حيث أنّ التجربة الكمالية في تركيا ، ذهبت في علمنتها إلى المدى الذي رسمته القيادة التركية في حينه ، ومع ذلك (ظلّ تأثير الإسلام باقيا" فيما وراء العلمنة الرسمية للدولة ، ناشطا" في الجماهير ، وهو ينزع إلى التزايد مع تقلقل المؤسسات الديمقراطية الحديثة ، لذا يجب تجنب الإستخلاصات العجلى بشأن مصير الإسلام السياسي) [٢٦] .

حاول أحد المستشرقين أن يوضح موقف تركيا من تمسكها بالعلمنة في أول تأسيسها فقال : (ففي العشرينيات من القرن العشرين كان على تركيا إمّا أن تقلب حياتها رأسا" على عقب أو أن تفنى . واختار الأتراك الحياة بأي ثمن) [٢٧] .

لكن كلّنا يعرف ماذا حدث ويحدث في نسيج المجتمع التركي عبر العقود الأخيرة، في القرية والشارع والمدينة والمؤسسة والتشريع ، إنّها عودة مؤكدة ، صريحة حينا" ، وعلى استحياء أحيانا" باتجاه الأصول .. صوب التوحد المرتجى بين الثنائيات في ظل هذا الدين. إنّ ما يسميه برنارد لويس بـ (الإسلام التركي الذي أظهر حديثا" ، برغم فترة من الخفوت قوّة متجددة في تركيا) لا يزال (بوضوح عنصرا" رئيسا" ، إن لم يكن الرئيس الوحيد في الوعي الجماعي لنسبة عظيمة من الأمة التركية)[٢٨] . فنجد تركيا اليوم تشارك في أنشطة الكتلة الإسلامية وتزايد الاتجاه لدى الأحزاب السياسية ، بالنظر لكون تركيا ديمقراطية برلمانية،لإثارة المسائل الدينية والتمسك بالإسلام إستجلابا" لأصوات الفلاحين[٢٩].

ثمّ يسأل لويس حول عودة الإسلام ، ترى ما هي القوة أو الجاذبية التي ينطوي عليها الإسلام كاستحقاق ولاء وإغراء ثوري في آن معا" ؟! .

ثمّ يجيب بنفسه فيقول : (إنّ الإسلام لا يزال ، بالنسبة للعدد العديد من المسلمين ، لا بل بالنسبة لمعظمهم على الأرجح ، أكثر أسس السلطة رضا" وقبولا" ، لا بل هو الأساس الوحيد المقبول في حقيقة الأمر إبان الأزمات . فالهيمنة السياسية يمكن المحافظة عليها لفترة من الزمن بالقوة الغاشمة دون سواها ، ولكن ليس إلى الأبد ولا فوق مناطق شاسعة ولا إلى فترات زمنية طويلة . وهذه الهيمنة يجب أن يتوفر فيها شيء من الشرعية في نظام الحكم ، ولا يمكن أن يتحقق هذا الهدف على أنجع ما يكون ، بالنسبة للمسلمين ، إلاّ حين تستمد السلطة الحاكمة شرعيتها من الإسلام ، أكثر ممّا تستمدها من مجرد دعاوى قومية أو وطنية أو حتى سلالية ، وأقل بكثير من أن تستمدها من أفكار غربية مثتل السيادة الوطنية أو الجماهيرية) [٣٠] .

لذا نجد اليوم أنّ أغلب النظم السياسية الموجودة في البلدان الإسلامية أو ذات الأغلبية الإسلامية عادوا إلى الإسلام من أجل الحصول ، كما يشاع ، على الشرعية الضرورية لاستمرار بقاء تلك النظم في دولهم .

إذا" ينتهي لويس بتساؤلاته إلى أنّ الإسلام يمتلك قوة عظيمة تجذب الإنسان المسلم إلى إتباع قواعد منهجية وفكرية عقيدية تفوق في قوتها أي قوة أو هيمنة سياسية أو اقتصادية أو اجتماعية ، لذا كان محتما" على النظم السياسية الحاكمة في الدول الإسلامية . ومن أجل إضفاء الشرعية الدينية عليها . أن لا تحيد في دساتيرها عن كون الإسلام دين الدولة أو أنه مصدر رئيسي من مصادر التشريع .

رابعا. أثر أفكار لويس في الواقع السياسي الغربي :

وظفّ برنارد لويس علمه وإمكاناته وفكره لخدمة قضيته (المشروع الصهيوني) ، والتي تعتبر قضية المحافظين الجدد، بأبعاده السياسية والثقافية ، فتقاطع مع المشروعين الغربي الأوربي في مرحلة ومع المشروع الأمريكي في مراحل . ودون أن نزعم أنّ برنارد لويس لم يكن يتقاطع مع الحقيقة . فهو في منهجه العلمي لا يمكن النيل منه حيث كان يجيد جملة أمور منها :

- الانتقائية ، حيث يختار من الحقائق ومن السياقات التاريخية ، ما يؤيد رؤاه .
- التعميم ، التعميم في غير محله حيث يعتبر الجزئية أساسا" ويلغي الكلية ، ويعتبر الفرد ويترك الجماعة ، ويعتبر الفرق ويضرب عن الأصل .
- توظيف الحقائق ، وهو يجيد توظيف الحقائق الصغيرة على نحو يجعلك تعجب ببراعته وقدرته على الإقناع، ببداهات ومعلومات تنتزع من سياقاتها لتوظف في سياقات أخرى.
- موسوعية هائلة في البحث والتقصي لحوادث التاريخ الإسلامي ، حيث اختار المناسب منها لفكرته المطروحة وقدمها للقاريء الغربي كمادة ثقافية جذابة .

وكصاحب قضية دخل لويس دائما" بآراء مسبقة حاول أن يجد لها في عالم الإسلام والمسلمين شواهدها [٣١] .

إنّ التجربة الفكرية لبرنارد لويس لها أثرها الواضح في الواقع السياسي الأمريكي ، كما لها تأثيرها الأوضح على المحافظين الجدد وعلى بعض المسئولين السياسيين الغربيين . فعلى سبيل المثال نجد المفوض الأوربي للسوق الداخلية الهولندي فريتز بولكشتاين يرجع في تصريحاته إلى اطروحات لويس لتدعيم بعض آراءه العنصرية ، خاصة" تجاه المسلمين ، وهو يعتبر أول مسئول سياسي في هولندا التي اشتهرت بتسامحها ، يصرح في بداية التسعينيات بأنّ (... قيم المهاجرين المسلمين تتعارض مع قيم بلاده) ، وحول مشروع انضمام تركيا للاتحاد الأوربي يحذر قائلا" : ((إذا حدث هذا فإنّ تحرير فيينا (يقصد من العثمانيين في سنة ١٨٦٣م) لم ينفع في شيء .. لقد أوقفناهم عند بواتييه (يقصد معركة بلاط الشهداء التي وقعت في جنوب فرنسا) .. لقد أوقفناهم أمام فيينا .. سنوقفهم مرة" أخرى)) . ولتدعيم رؤيته يورد بولكشتاين تحذير برنارد لويس (أوربا ستصبح مسلمة من الآن وإلى نهاية القرن) [٣٢] .

لم يكن بولكشتاين المسئول السياسي الأول ولا الأخير الذي يستخدم السلطة العلمية لبرنارد لويس من أجل حمل السلاح لمقاومة الاجتياح البربري الجديد لأوربا . حسب اعتقادهم . .

لقد فهم لويس منذ أن جاء إلى الولايات المتحدة . وربما كان ذلك من أسباب قدومه إليها أيضا" . أنّ الأفكار والمباديء التي تنتجها النخب الفكرية بذهنية ولغة أكاديمية ، نخب صافية ،

غير قادرة ، على الأقل في المجتمعات الديموقراطية الحرة ، على التأثير العميق والواسع والسريع في الثقافة العامة وصناعة الرأي وبالتالي صناعة القرار .

إنّ مكانة لويس في الغرب أخذت تتوطد عاما" بعد عام ، لكن موضوعيته ما لبثت أن أخذت بالتكشف شيئا" فشيئا" لأذكياء القراء المتابعين لكتاباته حيث لاحظوا أنّ أعماله منذ أواخر الخمسينيات ، وعلى نحو أوسع بعد انتقاله إلى الولايات المتحدة ، تخفي وراءها أهدافا" دفينة لخدمة المشروع الصهيوني ، والإساءة إلى العرب والمسلمين ، وكان كتاب (الاستشراق) للناقد الأدبي والمفكر العربي إدورد سعيد أول ما نبه . بقوة وإقناع . إلى هذه الحقيقة . فلقد هاجم إدورد سعيد (الدراسات الحديثة للإسلام) في دول الغرب ، ومنها دراسات لويس ، ورأى أنّها ليست سوى وسيلة للهيمنة الإمبريالية ، وزاد على ذلك ، فقرر أنّ الاستشراق الذي هو في الواقع شكل من أشكال العنصرية ، قد شوّه الإسلام ووصمه بالجمود واللاّعقلانية والعداء الدائم للغرب !! .

ومنذ وصول جورج بوش (الابن) إلى سدة الرئاسة الأمريكية ، أصبح برنارد لويس مستشارا" مسموع الرأي ومقرّبا" من المحافظين الجدد ، لا سيما منهم ديك تشيني (الموجه الحقيقي للسياسة الأمريكية) وريتشارد بيرل زعيم الصقور الصهيونيين في إدارة بوش وبول ولفويتز ، وقد خصه عندما كان مساعدا" لوزير الدفاع ، بتحية ذات معنى، خلال حفل تكريمي أقيم للويس في تل أبيب في آذار / ٢٠٠٢م ، حيث قال : (علمنّا برنارد لويس كيف نفهم التاريخ المعقد والمهم للشرق الأوسط واستخدامه ، ليقودنا نحو المرحلة الجدّية من أجل بناء عالم أفضل للأجيال القادمة) [٣٣] .

وفي آذار من عام ٢٠٠٣م ، قاد برنارد لويس الإدارة الأمريكية نحو مرحلتها الجديدة في العراق ، حيث أوضح لويس أنّ اجتياح العراق سيخلق فجرا" جديدا" ، وسيستقبل الجيش الأمريكي بالورود كونها قوات تحرير وسيعاد بناء العراق من جديد !! [٣٤] .

إذن لويس يعتبر من المؤثرين في مجموعة صنّاع القرار السياسي الأمريكي لسببين : أولهما ، أنّه مؤمن بتوجهات الولايات المتحدة الأمريكية في منطقة الشرق الأوسط . وثانيا ، لأنّه أحد المفكرين المنظرين لهذه السياسة في الجامعات الأمريكية والإعلام الغربي .

لقد حقق كتابا برنارد لويس المعنونان (ماذا جرى ؟) و (أزمة الإسلام) في عام ٢٠٠٢ م أعلى المبيعات في الولايات المتحدة الأمريكية ، واستغل حالة الرعب والصدمة السائدة في أمريكا في ذلك الوقت ، وأخذ يقدم نصائحه وآراءه التي شكلت الأرضية الفكرية السياسية لبوش . كما ذكرنا . ولنظرة المحافظين الجدد إلى العرب والمسلمين .

ومن أفكاره التي طرحها في كتابه الأخير (من بابل إلى مترجمي العصور الوسطى) أثار حماسة المحافظين الجدد عندما قال : (إنّه يعتقد أنّ الولايات المتحدة الأمريكية كانت متساهلة جدا" في حرب فيتنام ، وأنّ الدكتاتوريات في الشرق الأوسط يجب التخلص منها بالقوّة) .

لـويس باختصـار يعـد أحـد رمـوز السياسـة الأمريكيـة الراهنـة ، والـبعض يصـفه بمـانح الشحنات الفكرية للسياسة الأمريكية تجاه منطقة الشرق الأوسط .

الخاتمة :

اتفق مـع ادورد سـعيد بـأنّ برنـارد لـويس (أكـاديمي توهـم أعمالـه بأنّهـا دراسـات منهجيـة موضوعية بريئة من التعصب ، لكنّها في الواقع توشك أن تكون دعايـة ضد موضوع تخصصـه) أي ضد العرب والمسلمين . وبذلك تحول لويس من شخصية علمية محترمة إلى كاتب سياسي مثير للجدل ، وبخاصـة بعـد أن أصـبح شخصـية عامـة فـي الولايـات المتحـدة ، وكثـرت مقالاتـه السياسية والصحفية .

لقد تبيـن مـن خـلال البحـث الـدور المحـوري الـذي لعبـه لـويس فـي ترسـيخ (أو تحويـل) السياسة الخارجية للولايات المتحدة من النهج الدبلوماسي أو (الإستعطافي) على حد تعبيره ، إلى نهـج عدواني متعجرف ، وفـي تبريـر سياسـة ازدواج المعاييـر التـي تمـادى بهـا الرئيس الأمريكـي الحالي ومعاونوه بعد ذلك ، في إقنـاع إدارة الرئيس بوش والرأي العام الأمريكي بأنّ سبب كراهيـة العـرب والمسلميـن للولايـات المتحـدة لـيس موقفهـا المسانـد ظلمـا" لإسرائيـل أو إلـى إرث الغـرب الإستعماري ، وإنمّا هو شعور المسلمين بالحقد على الحضارة الغربية ، لأنّها هزمتهم وأشعرتهم بالمهانـة بعـد أن كـانوا سـادة العـالم وأنّ الغـرب يشـكل تهديـدا" لأسـلوب الحيـاة الإسـلاميـة بسـبب علمانية الغرب وديمقراطيته ومجتمعـه الإستهلاكي ، محركـا" بذلك موضوع صراع الحضارات ، ومحـولا" بـذلك عداء الولايـات المتحـدة وغيرهـا مـن الـدول ، مـن بـن لادن والمتطـرفين إلـى عـداء شامل للعرب والمسلمين [٣٥] .

إنّ لويس يرى أنّ العرب والمسلمين لم يفشلوا فقط في التحديث بل هم يرفضونه اليوم ، واتجـه شبابهم باتجـاه الماضـي والأصـولية . هـذه الأفكـار التـي روج لهـا أثـرت بشـكل واضـح فـي مجموعة المحافظين الجدد ، وعززت الحقد الغربي ضد الإسلام فقلبت الحقائق ، فأصبح الجلاد مظلومـا" والضحيـة هـي المتهمـة ، وأنّ المسـلمين وانهيارهـم السياسـي والاقتصـادي والثقـافي هـو المشكلـة، وينسـى لـويس أنّ الغـرب باحتلالـه الأراضـي، والولايـات المتحـدة بجيوشـها التـي انتهكـت حرمـات المسـلمين ، والصـهاينـة باسـتباحتهم للحرمـات وتدنيسـهم للمقدسـات فـي أرض المسـلميـن ، والغـرب وقيامـه بالتهديـد باسـتخدام أقسـى العقوبـات مـن حصـار اقتصـادي ودبلوماسـي واسـتخدام القـوات المسلحـة ضـد الـدول الضـعيفـة فـي العالـم الإسـلامي ، كالصـومال والشيشـان والسـودان وافغانسـتان والعـراق تـدفع إلـى رفـض المسـلمين لحضـارة الغـرب ولـيس إلـى الأسـباب التـي ذكرهـا برنـارد لـويس فـي كتاباتـه التـي روّج لهـا الإعـلام الغربـي ، والتـي أثبـت مـن خلالهـا عـن قـدرة كبيـرة وشبـه فريـدة بيـن أترابـه مـن المستشـرقين المحـدثين . كمـا كشـفت كتاباتـه عـن موسـوعية هائلـة فـي

البحث في التاريخ الإسلامي والعربي . فلقد اختار المناسب منها لفكرته المطروحة والمعالجة ، ثمّ قام بتشريحها وتقديمها للقاريء الغربي كمادة ثقافية جذابة ، وليس أكاديمية باردة فحسب ، وكانت لغته كما ذكرنا مبسطة أو تبسيطية محاكيا" بذلك العقل والغريزة معا" وجامعا" أحداث الحاضر والماضي في حزمة واحدة .

الهوامش :

(١) عماد الدين خليل ، نظرة الغرب إلى حاضر الإسلام ومستقبله ، دار النفائس ، بيروت ، ١٩٩٩م ، ص١٥١.

(2) Martin Kramer , Bernard Lewis , http : // www . geocities . com / martinkramer org / Bernard Lewis . htm 21 / 12 / 2005 . P.1.

(٣) عماد الدين خليل ، المصدر السابق ، ص١٥١ .

(٤) حمدي السكوت ، برنارد لويس مرشد عام المحافظين الجدد ، العربي الكويتية (العدد ٥٥٨ مايو / ٢٠٠٥) ، ص١٧ .

(٥) شبكة المعلومات الدولية ، مترجم عن شبكة النبأ المعلوماتية ، ١٤ / ٣ / ٢٠٠٤ م ، ص٢.

(٦) شبكة المعلومات الدولية ، مجلة العصر ، برنارد لويس .. أصداء منحازة لرنين قديم مستهلك ، (٣٠ / ٦ / ٢٠٠٤ م) ، ص٣ .

(7) Martin Kramer , Bernard Lewis , http :// www . geocities . com / martinkramerorg . htm . 21/12/2005.p.1 .

(٨) برنارد لويس ، تنبؤات برنارد لويس ، دار رياض الريس ، لندن ، ٢٠٠٠ م ،

(٩) جلال أمين، دليل الرجل الذكي إلى التشهير بالمسلمين ، جريدة الحياة،٢٦و٢٠٠٣/٧/٢٧م .

(١٠)خليل الصغير ، برنارد لويس بطريرك الإستشراق ، مدارات غربية ، العدد ٤ (٢٦ / كانون الأول / ٢٠٠٤م) ص٣ .

(11) Martin Kramer , Op. cit . P. 3 .

(١٢) برنارد لويس ، لغة الإسلام السياسي ، ترجمة عبد الكريم محفوض ، دار جفرا للدراسات والنشر ، دمشق، ٢٠٠١م ، ص١١ .

(١٣)المصدر نفسه ، ص١٧ص١٨ .

(١٤)كوستاف فون كرونباوم G . V . Grunebaum، الوحدة والتنوع في الحضارة الإسلامية ، ترجمة د. صدقي حمدي ، مراجعة د. صالح احمد العلي ، دار المتنبي ، بغداد ، ١٩٦٦م ، ص٥٢٠ .

(15) Martin Kramer , Op . cit. P.2 .

(١٦)خليل الصغير ، المصدر السابق ، ص٨ص٩ .

(17) Bernard Lewis , Time for Toppling ,28/12/2005 , P.4 . (ترجمة أ.م صلاح سليم علي)

(18) Bernard Lewwis , The Arabs in History . London : Huiversity Library Ist Ed . 1950 , P . 39 .

(١٩)عبد الرؤوف عبد العزيز الجردادي ، الإرهاب ، أسبابه وعلم الاجتماع الديني ، الكويت ، (د. د) ١٩٨٨م ، ص٢١٧ .

(٢٠)سالم مطر السبعاوي ، الإرهاب والتوظيف الإعلامي الأمريكي تجاه العرب والمسلمين ، (رسالة ماجستيرغير منشورة) الجامعة المستنصرية / المعهد العالي للدراسات السياسية الدولية ، ٢٠٠٣ م ، ص١٦ .

(٢١)برنارد لويس ، عودة الإسلام ، مجلة الدعوة المصرية ، النمسا ، (العدد ٨٦ السنة ٣٣) ، ذي القعدة / ١٤٠٣ هـ ، آب / ١٩٨٣م ، ص٤٢ .

(٢٢)حميد حمد السعدون ، الغرب والإسلام والصراع الحضاري ، دار وائل للطباعة ، عمّان ، ٢٠٠٢ م ، ص١٣٥ .

(٢٣)برنارد لويس ، لغة الإسلام السياسي ، المصدر السابق ، ص١٥ص١٦ .

(٢٤)المصدر نفسه ، ص١٢ .

(٢٥)المصدر نفسه ، ص١٣ .

(٢٦)عماد الدين خليل ، المصدر السابق ، ص٥٩ .

(٢٧)أرنولد توينبي ، الإسلام والغرب والمستقبل ، ترجمة نبيل صبحي ، دار العربية ، بيروت ، ١٩٦٩م ، ص٢٥ص٢٦ .

(٢٨)كوستاف فون كرونباوم ، المصدر السابق ، ص٤٦٥ .

(٢٩)برنارد لويس ، لغة الإسلام السياسي ، المصدر السابق ، ص١٥ .

(٣٠)المصدر نفسه ، ص١٦ ص١٧ .

(٣١)برنارد لويس ، أزمة الإسلام ،WWW . ashargalarabi . U K . p.3 .

(٣٢)شبكة المعلومات الدولية ، إسلام أون لاين ، موقع الإمام الشيرازي ، ص١ .

(٣٣)آلآن غريش ، برنارد لويس وجينة الإسلام ، جريدة اللوموند في ٢٠٠٤/٩/١٠م ، نقلاً عن شبكة المعلومات الدولية .

(٣٤)المصدر نفسه .

(٣٥)حمدي السكوت ، المصدر السابق ، ص٢١ .